

## ( ١ ) أول خطبة للنبي ﷺ

### بالمدينة

قال ابن هشام في سيرته : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد، أيها الناس .. فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليضعفن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان<sup>(١)</sup> ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى قبلك؟ وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك؟ فليظنن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم .

فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف .

والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته .

(سيرة ابن هشام ١ / ٣٠٠ ، وأخرجها أيضاً البيهقي)

(١) الترجمان - بضتين أو فتحين بينهما سكون ، ويفتح فسكون فضم - أى : المفسر .

في هذه الخطبة الأولى - كما قرأنا<sup>(١)</sup> - أراد النبي ﷺ بما أوتي من جوامع الكلم وفصل الخطاب : أن يذكر أصحابه الفضلاء ، وأن يذكرنا نحن كذلك من خلالهم : بأن الحياة الدنيا لا دوام لها ، وأن الإنسان فيها مثله كمثل الضيف الذي لا بد وأن يرحل مهما طال إقامته في هذه الحياة الأولى :

العُمُرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ      كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ  
وَأَخُو الْحِجَابِ فِي سَائِرِ      الْأَحْوَالِ مَرْتَقِبٌ حِمَامَهُ (٢)  
وَالْجَاهِلُ الْمُغْتَرُّ مَنْ      لَمْ يَجْعَلِ التَّقْوَى اغْتِنَامَهُ

كما يذكرهم النبي ﷺ بأن الإنسان عندما سيتتهى أجله سترك كل شيء خلفه ، وأنه لن يأخذ معه إلى العالم الآخر إلا ما قدمه من أعمال - صالحة أو طالحة - وأنه هناك عندما سيواجهه الله تعالى بكل تلك الحقائق مذكراً إياه بما تفضل عليه سبحانه وتعالى به : سينظر الإنسان هذا يميناً ويساراً علّه يرى خيراً قدمه . . فإذا لم يجد الخير هذا فإنه لن يرى غير الشر الذي به سيكون من أهل النار .

ولهذا : فإن النبي ﷺ يدعونا جميعاً في نهاية هذه الخطبة إلى أن نسارع إلى الله تبارك وتعالى بخالص الأعمال قبل أن نتقل من دار العمل إلى دار الحساب ، وقبل أن نندم . . «ولات ساعة مندم» . .

(١) أو كما سمعنا - إن كان هذا سيلقى على المنبر .

(٢) الحمام - بكسر الحاء - : هو الموت .

﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (١)

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

ولله درُّ القائل :

قَدَّمْ لِنَفْسِكَ خَيْرًا      وَأَنْتَ مَالِكُ مَالِكَ  
مِنْ قَبْلِ تَصْبِيحِ فَرْدًا      وَلَوْ أَنَّ حَالِكَ حَالِكَ  
وَلَسْتَ وَاللَّهِ تَذْرَى      أَيُّ الْمَسْأَلِكِ سَأَلِكَ  
إِمَّا لِحِنَّةِ عَدْنٍ      أَوْ فِي الْمَهَالِكِ هَالِكَ

فلنذكر جميعاً كل هذا، ولنعد سريعاً إلى الله تعالى، قبل انتهاء آجالنا، وقبل أن يقول كل واحد منا عندما سينتهي أجله :

﴿ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٥) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

\* \* \*

(٢) سورة المطففين : ٦ .

(١) سورة النبأ : ٤٠ .

(٣) سورة المنافقون : ١٠ ، ١١ .